مسرح

بنادق السيدة كرار ... مجرد محاولة !

بقلم
محمد كمال جبر

"تنشر الطليعة" هذا النقد مؤملة ان اخرون في معالجة الموضوع الذي له الكاتب، ومناقشة النقد نفسه".

قدمت مسارح الجامعة جبهات "موتريل" نعلم من خلال المساء انه جاء من هناك اثر اشتداد المعارك، ياتي الاخ "بدرو" وهو بحاجة ماسة للبنادق المخبأة في صندوق عند اخته السميدة "كرار" لكنها ترفض اعطاءه السلاح وبشدة رغم احتقار الجيران لها على عدم اشتراك ابنائها في الثورة ورغم الحاح ابنها الصغير "خوزيه" على الاشتراك لكنها ترفض كل ذلك. وفي نهاية الحدث يؤتى بابنها الكبير "خوان" مقتولا على ايدي الجنرالات وهؤلاء لانه يحمل السلام بل اثناء قيامه باصطياد السمك، فتعزي الام الاخ الى القبعة البالية التي كان يلبسها لكن احد الصيادين يخبرها بان الجنرالات لا يستطيعون قتل كل من يلبس قبعة بالية" وهكذا تقرر الام ان لا سبيل فعلا غير المشاركة فتخرج بنادقها لكن "من اجل خوان".

لا اريد هنا مناقشة بريخت على مسرحيته لكني بصدد مناقشة رياض مترجم ومخرج النص لاقول له: لقد سبقتك محاولات كثيرة في الوطن العربي معتمدة على النص المترجم في اعمالها، اذكر على سبيل المثال لا الحصر تجربة مصر في المسرح التي بدأت بالاعتماد على المسرح الفرنسي المترجم وبالذات على مسرحيات موليير واول من ابتدأ به جورج ابيض فترجم مسرحية "البخيل" وعرضها على مسرح الاوبرا بعد عودته من دراسة المسرح في فرنسا، وبعدها ظل المسرح المصري ردحا من الزمن يعتمد على النصوص المترجمة والكوميدية وهذا من اسباب ازمة المسرح المصري انذاك.

هذا مثال كما اسلفت، وفي البلدان العربية الاخرى امثلة كثيرة ادت جلها الى تاخير عجلة المسرح العربي بطريقة او باخرى، وها انت تحاول ترجمة نص واخراجه لمسرحي تقدمي هو برتولد بريخت، انا شخصيا لا انكر قدرة بريخت لا في الكتابة ولا في الاخراج.

ولكن نحن بحاجة الى مسرح يناقش اما قضايانا او تطلعاتنا او القضيتين معا، وللاسف لم تناقش بنادق السيدة "كرار" لا قضايانا ولا تطلعاتنا المصيرية، قل لي بربك هل تعيش السيدة كرار بين ظهرانينا الان؟ لا، انا اقولها لك، وربما تقول لي: اذن ما العمل؟ اقول لك بعدها: لقد اجدت جدا في عملك الثاني "رجال في الشمس" واجدت اكثر حين نويت الكتابة للمسرح، للقد بلغني انك بصدد لاخراج عمل مسرحي من كتابتك، لكن، وليكن هذا استباقا للمفاجاة، لكنك خيرا تعمل، هذا ما نريد، نريد مسرحا محليا، لا تخف ان يصفك احدهم بضعف في الكتابة، فالكتابة ليست وقفا على احد، وتاكد ان بريخت نال ما نال من التعظيم المسرحي لانه بدأ بمعالجة المشكلات العيانية في ذلك الظرف الزماني... وقد تتساءل: لم كل هذا؟ واقول لك: لقد ابرزت في المسرحية الثانية "رجال في الشمس" قضية القلق الذي نعاني منه، اذن لماذا لم تعالج قضية القلق في المسرحية المترجمة؟ لماذا لم تدفع السيدة كرار للاقتناع بالمشاركة؟ واسئلة اخرى كثيرة حاول جهدك في عملك المقبل تجنبها قدر المستطاع، لكن لا تاخذ من كلامي انني احاول تثبيطك، بالعكس، كنت انتظر من رياض عملا ضخما خصوصا وان رياض حاصل على ماجستير مسرح من المانيا الشرقية وكان موضوع رسالته المسرح الفلسطيني".

بقيت بعض الملاحظات حول العمل، فالى الخامة الجديدة، "محمد عودة الله" اتوجه بملامة صغيرة، انك ممثل صاعد، هذا صحيح، تعاول جهدك يا عزيزي فهم طبيعة دورك، انك في مسرحية "بنادق السيدة كرار" شاب صغير وفقير، اراد لك المخرج ان تكون المانيا وليس ايطاليا لقد كانت حركتك تشبه الى حد بعيد حركة الرقاص الايطالي.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كنت افضل ان اراك شابا عربيا فلسطينيا من حركتك ومن اداءك، على اية حال هناك نقطة مهمة اسجلها عليك وعلى المخرج وهي ان ابن السيدة كرار الحقيقي لم يطل في يوم من الايام ساعة يد، لكيك بالله عليكما تبقى ساعة اليد على معصم خوزية! الم يكن ذلك تجنيا على العمل؟ اعذرني يا محمد، لقد احببت فيك رغبتك في العمل وايدتك على ذلك شفاعة بيني وبينك لكن حاول ان لا تقع في مثل هذه الاخطاء، لان المسرح بحاجة الى دقة...

اما بالنسبة لمن قامت بدور السيدة "كرار" وهي "بشرى قرمان" فاقول: خلال العرض، صدقيني كنت معجبا جدا بالاوضاع البدنية "الجستات" التي كنت تتعمدين اظهارها لكن يا عزيزتي كان المسرح الاغريقي والروماني يعتمد هذه الطريقة اما مسرحنا الحديث ابتداء من مدرسة ستانسلافسكي في التمثيل فهي تركز على عملية الاسترخاء الكاملة او تدرين لماذا؟ حتى يستطيع الممثل او الممثلة ان ينقل دوره الى المشاهد وبكل بساطة، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى اود تذكيرك بان الام الفقيره لا تتصرف بكل هذه العنجهية، صحيح انها غير واعية، لكن كواحدة مثل السيدة كرار تملك جزءا من امل في غد جديد لا تتصرف بهذه الطريقة.

اما بالنسبة لنظير مجلي - العامل بدرو - فقد برزت في العمل لكن هناك مأخذ بسيط على حركتك على الخشبة فالمفروض ان لا تدع فرصة للمشاهد ليكشف كيفية حركتك، وغير سبيل لفلة حركتك على الخشبة هو صحوك مبكرا، ولا تخف فهذا تقليد برولیتاري وليس تقليدا برجوازيا...

ومع تهاني العاره لاسرة بيت الصداقة اتمنى ان يصل عملهم الجديد الى قمة في الابداع...

كتب للأطفال

قراءة في كتاب "قالت الوردة للسنونو" لزكريا تامر

"قالت الوردة للسنونو" كتاب زكريا تامر الجديد الذي يضم مجموعته الاولى "لماذا سكت النهر". فما هو المشترك بين هذا الصعيد، وهو الذي ينطلق من خلفية واقعية بالواقع العي. "عندما جاءت حرب حزيران الاسرائيلي بالواقع وصار اكثر حدة وصرامة، تغير في الصغار نظرة مختلفة، انهم الجيل الذي سيستقبل ان يجابه تحديا شرسا ولذا فلا بد من الارادة التحدي والرغبة العميقة في التغيير وان يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل ذلك".

تتبنى ادب الاطفال الارتكاز الى ثلاثة محاور: القيم الاساسية الايجابية التي تتمثل في نظافة الوجدان. مقابل ثقافة تشويه الطفل كتب الاطفال التجارية ووسائل الاعلام ساهمة كاتب الاطفال في خلق ابعاد عالم القلق، لا يمكن ان ترد ضمن اطار الوعظ شوه موقفا مسبقا تجاه الطفل ويطفيء شرارة الدهشة والالتحام التي يمكن ان يخلقها النص منه المسالة بالنظرة التي يتعامل بها الكاتب له، لهو لد ينظر اليه باعتباره مخلوقا صغيرا فلي وضعيف يتعطش الى الحنان الغامر او بكونه انسانا صغيرا له استقلاليته مشاركته وفعاليته دون تضخيم لامكانياته او

المحتوى النفسي الذي يتضمنه النص بما يقدم جديد يسبر غوره الاطفال بخيالهم الضرورية في بناء المعرفة الانسانية. الخيالية نوعا من الذهنية التي تعيد ربط من عالم الابداع والمغامرة والانطلاق. فمما لا عورا منطقيا بين بوابة الحلم وعالم الواقع مروب هوامية تمثل اشباعا زائفا لحاجات نفسي - الرمزي يمكن ان يطلق في الطفل كوس والهروب، او امكانيات جديدة تسهل الحلوب.

ان قلب العالم اللغوي الذي يؤثر على ام مقامات الالفاظ المسعة والتركيبات الجمل الذي يتوجه له الكاتب في تذليل الاساسية الايجابية فان القصص تقدمها بنجاح متفاوت. تعرض قصة "الكسلى" عالما من الصداقة الحارة بين الطفلة التي تتاخر عن مدرستها، والعصافير التي تحاول ايقاظها ثم تاخذ موقفا تجاهها "لن نحب هذه البنت الكسلى" بعد ان غردت لها اروع تغريد وظلت مها مستسلمة للنوم. وحين تكتشف العصافير ان اليوم هو يوم عطلة مها.. "تبادلت العصافير نظرات الدهشة، وخجلت لانها اخطات، ولكنها بادرت الى التكفير عن خطئها ففتن لمها اجمل ما تحفظ من اغنيات". في هذه القصة يختلط العالمان، عالم مها وعالم العصافير بما يؤكد التمازج والالفة وتبادل المسؤوليات والخيال الجميل.

في قصة "الحمار والقط" يحاول القط خديعة الحمار لانه كان كسولا وتمنى لو يعثر على من يحمله الى ضفة النهر، ولكن الحمار باغته بزفسة قوية عندما قال له: "اشفق علي يا صاحب اجمل صوت في الغابة"، وهو يجيبه "انا اكره الكاذبين المتملقين. انت قلت لي ان صوتي جميل، وانا اعرف من اكون. انا حمار ولست مغنيا" فمن خلال روح الهزل والمرح تطرح مسالة الصدق والتملق "فاتعس القط انه منذ تلك اللحظة سيكف عن الكذب والتملق، ولا يقول الا الصدق".

الا انه في قصة "قالت الوردة للسنونو" التي تقول ان "المخلوق الذي لا ارض له لا نفع منه" تطرح هذه القيمة عبر حوار قصير بين الوردة والسنونو، كان من الممكن ان يستانف وان يخرج بدلالات معاكسة. الفكرة الاساسية تقوم على المفاضلة بين منافع الوردة ومنافع السنونو الذي يعجز عن الجواب، ولكنه لو اخبرنا بانه يلتقط الحشرات الضارة من حقول القمح على سبيل المثال، لاختلف المضمون كليا. وهذا يعني ان التوجه نحو المحتوى الوظيفي للقصة يجب ان يكون متكاملا كي لا يكسر سير الحدث والمعنى المطلوب.

يحاول القط منافسة العصفور الصغير فيقفز عن جذع شجرة محاولا تقليده في "القط يطير" لم يستطع الطيران، وهوى الى الارض وارتطم بها بقصوة، تطرح هذه القصة الاشكال السابق من زاوية جديدة حيث ان النهاية الوعظية تأتي حينما يقول العصفور للقط: "التقليد والغرور ليسا جناحين".

ان فكرة التقليد والمنافسة فكرة شائعة في عالم الصغار ولا ينبغي فهمها بالتقسيم الوظائفي الجامد الذي يحدد لكل ما يجب فعله حسب قوانين الطبيعة، من اجل اثبات الحكمة الاساسية حول التقليد والغرور، ان بعض الخيال لا يضر الطفل الذي يدور عالمه حول تقليد الكبار في مجالات عديدة لاكتشاف نفسه مع يصبح محترما عن طريق استخدام القوة على انها حريته الشخصية "وهناك تعلم ان استخدام القوة لا يكسب احتراما.

قصة "ملك الحمقى" تعطي الموعظة التي تصور غباء العالم الذي يترفع عن مشاكل الناس وهمومهم ويعتبرها مشكلات سخيفة، ضمن قالب فكاهي خيالي يشوق الطفل فيستدرجه الى استخراج العبرة في النهاية دون حاجة الى ذكرها بشكل مباشر.

وتسير قصة "حسان الاجداد" على الخط ذاته، فهي قصة بسيطة جميلة تغرف من مناخ الاسطورة ولا تقع في فخ الموعظة المباشرة حين تطرح مسالة التاريخ القديم وانعكاساته الايجابية على المستقبل.

د - ناتي الى النقطة التي تتعرض للمحتوى النفسي بصوره ورموزه وتبريراته المنطقية: تتناول قصة "العشب الاخضر" مفهوم الحرية بشكل تجريدي وغير متسلسل منطقيا بالنسبة للطفل، فالجياد تفضل ان تموت جوعا على النزول الى المدينة، ليس

هناك وصف يوضح مصطلح (المدينة - فقدان الحرية) ويبين للطفل العلاقة بين اختيار الموت جوعا وبين الذهاب الى المدينة، وليس لديه مرجع ثقافي عن المدينة يوضح له علاقاتها واستلاباتها كالذي يفكر فيه رجل كبير. كما ان محاولة تحريض الطفل على البطولة الدرامية تتخذ مستوى فوق ادراكه وعمره. "ولما سمعت الارض قرار الجياد، ارتجفت فرحا وفخرا، فاكتسى سطحها توا بالكثير من العشب الاخضر" ان الدخول الى عالم الخيال الطفلي لم يكن موفقا، اذ ان تقديم الحل بهذا المضمون الرومانسي المتناهي في الحلم، يخلق جوا شاعريا ولكن للكبار وليس للصغار فالطفل لن يستمتع بالصورة الشعرية عن ارتجاف الارض وانباتها العشب، بل انه سينصرف الى السؤال: وكيف كان ذلك؟ ان العلاقة بين قرار الجياد وقرار الارض لم يمهد لها في علاقة سابقة تشرح للطفل ما قد لا يكون بديهيا بالنسبة اليه.

يبدو تداخل الواقع بالخيال سلسا، مقنعا، في قصة "اوامر الملوك" وهي تحكي عن ملك اراد مكافاة قط ظنه مواطنا صالحا باصداره امرا للعصافير كي لا تهرب امام القط الجائع. ويتخذ الخيال مسارا منطقيا لانه يرتبط بصورة السلطة الفاشمة عبر مضمون كاريكاتيري يقدم رمزا واضحا يفكك الاطفال ببساطة. فالعصافير لن تذعن لاوامر الملك لانها تمتلك اجنحتها التي تهرب بها دفاعا عن نفسها.